

**الأوضاع السياسية للمملكة المتوكلية اليمنية في كتابات رحلة أمين الريحاني
عام ١٩٢٢ م "دراسة تحليلية"**

د/ هويدا أحمد على أحمد

دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب جامعة أسيوط

ملخص اللغة العربية :

يقدم أدب الرحلات لعلم التاريخ معلومات قيمة من قلب الحدث، فهو ينقل الحدث بواقعية وبكيفية حية، وإذا كان التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية)، فإنّ الرّحلات أعطت كل ذلك بعده المناسب، وتطرقت إلى تحليل جوانب لم تتطرق إلى تحليلها الوثائق التاريخية؛ لأن أدب الرحلة يجمع بين السرد والوصف وكأنّها رواية أو قصة طويلة، كما يتبع الرّحّالون الأسلوب العلمي في تدوين رحلاتهم، وبذلك يعكس لنا ما وصلوا إليه من علم غزير، وسعة فهم مع حرصهم على تدوين ملاحظاتهم أولاً بأول .

تأتي أهمية كتابات الرّحالة أمين الريحاني في كونها أحد المصادر الأولية لدراسة تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، وقد وقع الاختيار على موضوع الأوضاع السياسية للمملكة المتوكلية اليمنية في كتابات رحلة أمين الريحاني عام ١٩٢٢ م "دراسة تحليلية"، من الجزء الأول من كتاب "ملوك العرب" رحلة في البلاد العربية مزينة برسوم وخرائط وفهرست أعلام؛ لأن الرّحالة أمين الريحاني دوّن الكثير من معلومات الحيوية عن اليمن التي لم تقتصر على الأوضاع السياسية فحسب بل تطرقت للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية السائدة في اليمن؛ والتي شكلت قاعدة مهمة من المعلومات مكّنت المؤرخين والباحثين من خلالها من دراسة المجالات المختلفة لليمن من خلال مقارنة المادة الموجودة في الوثائق الرسمية وغير الرسمية، وما وفرته كتابات الرحالة وأدب الرحلات التي تعتبر معيناً لا ينضب من المعلومات .

رصد الرحالة أمين الريحاني من خلال رحلته لليمن أوضاع السياسة الداخلية والخارجية للمملكة بعد أن تولى الإمام يحيى سلطة الإمامة الزيدية في الشمال اليمني، وكيف نجح في تزعم حركة المقاومة ضد الوجود العثماني، إلى أن لحقت الهزيمة بالدولة العثمانية، واضطرت إلى الانسحاب عن اليمن، وتسليم السلطة في صنعاء للإمام يحيى، كما تناول الريحاني سياسة الإمام تجاه سلطات الاحتلال البريطاني في الجنوب اليمني، والتي تأرجحت ما بين السلم أحياناً والاصطدام أحياناً أخرى.

كما تطرق الرحالة أمين الريحاني إلى أوضاع السياسة الداخلية للمملكة المتوكلية اليمنية، وكيف تسلّم الإمام سلطاته الدينية والسياسية تحت شعار تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وبصفة تتسم بالمركزية القوية، ولكنها تبتعد كثيراً عن مفهوم الدولة المركزية القائمة على أسس حديثة، كما ذكر دور نظام الرهائن المحوري في عملية بسط السلطة المركزية للأمام يحيى وتثبيت دعائمها نتيجة لما أبدته القبائل في بداية الأمر من خضوع واستكانة تجاه تطبيقات هذا النظام، وقد أدت هذه السياسية إلى وقوع العديد من التمردات والانتفاضات التي عبرت عن الرفض لهذا النظام، الذي أخذ به الإمام يحيى منذ مبايعته بالإمامة عام ١٩٠٤م، وكيف مثل نظام الرهائن واحداً من أبرز مظاهر العنف السياسي للنظام الإمامي الملكي، كما تناول البنية القبلية للمجتمع اليمني وأثرها على الوضع السياسي في اليمن .

Abstract

Travel literature provides valuable information from the heart of the event, conveying the event in a realistic and live way, and if history is to describe and survey the life and history of countries in their various manifestations (political, social, economic and cultural), the trips gave all this its proper dimension. I have discussed the analysis of aspects that were not discussed in the historical documents, because the journey literature combines narrative and description as a long story, and the journey is followed by the scientific method in writing their journeys, thus reflecting the great science they have reached. They are able to understand and make sure that their observations are written up in real time

The importance of the writings of the traveller Amin Al-Rihani comes as one of the primary sources for studying the recent and contemporary history of Yemen, and the subject of the political situations of the Yemeni Kingdom of Al-Mtokliyah was chosen in the writings of Amin Al-Rihani's trip in 1922 ad "an analytical study". The first part of the book "Arab Kings" is a trip in the Arab countries decorated with drawings, maps and flags; because the traveller Amin Al-Rihani did not have much vital information about Yemen, which was not only confined to the political situations but also dealt with the economic, social and religious aspects prevailing in Yemen; This was an important information base through which historians and researchers were able to study the various fields of Yemen by comparing the material in official and unofficial documents, and what the writings of travellers and travel literature that are considered to be inexhaustible from information provided .

The traveller Amin Al-Rihani observed through his trip to Yemen the internal and external political situations of the Kingdom after Imam Yahya took over the authority of the Imam Al-Zabdiya in the north of Yemen, and how he succeeded in leading the resistance movement against the Ottoman presence until the defeat of the Ottoman country and was forced to withdraw from Yemen. The handover of power in Sanaa to Imam Yahya, and Al-Rihani also dealt with the Imam's political policy toward the British occupation authorities in the south of Yemen, which sometimes oscillated between peace and sometimes clash.

The traveller also discussed the internal political situations of the Yemeni Kingdom of Matulia, how the Imam hands over his religious and political authorities under the slogan of applying the Islamic law, and in a way that is very centralized but far from the concept of the central state based on modern bases. He also mentioned the role of the main hostage system in the operation of extending the central authority forward Yahya and stabilizing its supporters as a result of the tribes' submission to the application of this system at the beginning, which led to the occurrence of many mutations and uprisings that expressed their refusal to this regime. He was taken by Imam Yahya since his beginning in the United Nations in 1904, and how he represented the hostage system is one of the most prominent manifestations of the political violence of the royal front system, as well as the tribal structure of Yemeni society and its effect on the political situation in Yemen

المقدمة :

الرحلة مشتقة لغويًا من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان لآخر؛ لتحقيق هدف معين، مادياً كان ذلك الهدف أو معنوياً، أُلّف فيه الرحالة المسلمون في جميع العصور كتباً ما تزال متعة للقارئ، وشاهدًا حياً من شواهد الحضارات القديمة، ووثيقة تاريخية مهمة. إن هذا الفن من فنون الأدب العربي لم يظهر تحت مسمى أدب الرحلات، وإنما كان يظهر أحياناً تحت خانة " كتب التاريخ أو الجغرافيا أو السيرة الذاتية أو كتب الاعتراف أو أدب الاعتراف" وهكذا، فإن هذه التسمية «أدب الرحلات» تسمية وليدة هذا العصر وما شاهده من دراسات ومصطلحات وتقسيمات لفنون وألوان المعرفة الأدبية الذي يسجل فيه الرحالة أو الكاتب وصفه لما شاهده في تجواله ورحلاته عبر قطر أو عدة أقطار زارها بقصد المشاهدة والاستطلاع، لذلك يُعدُّ أدب الرحلات من أهم المصادر التاريخية والجغرافية والاجتماعية؛ لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحية، والتصوير المباشر.

ولأدب الرحلة قيمتان:

- قيمة علمية فيما تحويه كتب الرحلات من معلومات تاريخية جغرافية و أنثروبولوجية.
- قيمة أدبية وتتجلى في كون الكثير من هذه الرحلات كتب بأسلوب أدبي رفيع، يتميز بالتصوير الحي، والوصف الدقيق، ومعالجة دقائق الحياة الاجتماعية، وتسجيل الانطباعات والمقارنات عن حياة الشعوب والحضارات.

عند دراسة أدب الرحلات نجد اتجاهات مختلفة وفقاً لما تتضمنه كل رحلة فهناك :

- ١- رحلات ذات اتجاه ديني تستهدف وتحرص على لقاء العلماء والأدباء وأهل الفكر والرأي.
- ٢- رحلات ذات اتجاه تاريخي وحضاري وتهدف تدوين الوقائع والإحداث التاريخية والاهتمام بالمعالم الحضارية كالأثار والمعابد والمتاحف والمساجد والكنائس والأماكن التاريخية، فيصفها وصفاً مطولاً.
- ٣- رحلات ذات اتجاه جغرافي هو وصف الأماكن من حيث موقعها الجغرافي وما تتسم به وفيم تتشابه، وفيم تختلف، وتأثير العوامل الطبيعية فيها، إن مفهوم أدب الرحلات .
- ٤- رحلات ذات اتجاه سياسي تستهدف الاتصال بالسلطان أو الحاكم.
- ٥- رحلات كتبت من أجل تدوين الرحلة.

وسوف نجد لرحلة أمين الريحاني إلى المملكة اليمنية المتوكلية عام ١٩٢٢ م مزيجا انصهرت فيها اتجاهات مختلفة لأدب الرحلة حاول الريحاني أن ينقل للقارئ الصورة كما شاهدها؛ ولأنه لم يستسغ تقديم الصورة مبتورة، فقد كان يحفها ويكملها بالتاريخ وأحداثه، وبالفلسفة وتأملاتها وبالشعر، فيجد القارئ جانبا كبيرا من تاريخ اليمن الحديث أيام الوجود العثماني والاحتلال الإنجليزي، ورصد تاريخي عن سياسة حكم الأئمة في اليمن خلال رحلته إلى هناك عام ١٩٢٢م، مازجا السياسة بالتاريخ بالجغرافيا بالعلوم والفلسفة، فعقد الريحاني المقارنات بين البلدان أو الأشخاص، ومن هنا كان استنباطه بأن "العظمة والمحسوبية في صنعاء أشد منها في الحجاز".

هذه هي إذن صورة اليمن في عيون الريحاني، وهو ما يحملنا على القول بأن ما كتبه الريحاني عن زيارته لليمن في عام ١٩٢٢م ضمن كتابه (ملوك العرب) الجزء الأول، يأتي مُتَقَرِّداً في بابهِ ورغم ما عليه من مؤاخذات، سيبطل جديراً بالقراءة والتأمل .

١ - التعريف بالرحالة (أمين الريحاني):

أمين فارس أنطوان الريحاني أديب، ورحالة، وسياسي ومؤرخ، وصحفي ورسام كاريكاتير، ويعتبر أحد المفكرين ودعاة الإصلاح الاجتماعي مابين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في الوطن العربي، ويلقب بفيلسوف الفريكة نسبة إلى بلدته. ولد أمين الريحاني في ٢٤ نوفمبر عام ١٨٧٦م في بلدة الفريكة من قرى منطقة المتن الشمالي في جبل لبنان، وهو من أسرة مارونية تعود بجنورها إلى قرية (بجة) في بلاد جبيل. انتقلت أسرته منذ حوالي منتصف القرن السابع عشر إلى ضيعة (بيت شباب) في المتن، ومنها إلى (الشاوية) مع المطران باسيلوس عبد الأحد سعادة البجاني، الجد الثاني لوالد أمين، ويحكى أن منزل الأسرة هناك كان محاطا بشجر (الأس) أو الريحان فبات يعرف ببيت الريحاني. عمل والده فارس أنطوان الريحاني في تجارة الحرير ونمت عائلته حتى أصبحت تضم ستة أولاد لأم وهي أنيسة جفال طعمه من (القرنة الحمراء) كانت طفولة أمين مميزة بشقاوته بين الأصدقاء، فقد كان كثيرا ما يعود إلى المنزل بعد عراك مع رفاقه، أو بعد ملاسنة بسبب اللعب مع الأولاد في قرينته. (١)

(١) د. أحمد أبوحاقة: أمين الريحاني وأدب الرحلة، دار النشر معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٨، ص ١٢٠ - ١٢١.

التحق أمين الريحاني بالمرحلة الابتدائية على يد معلم القرية الذي تلقى على يده المهارات الأساسية في القراءة والكتابة بالعربية، ثم انتقل إلى مدرّسه نعوم مكرزل ليتعلم منه مبادئ الفرنسية إلى جانب القراءة العربية والحساب والجغرافية، عرف عنه خلال دراسته بذكائه وتفوقه على أقرانه^(١).

في صيف ١٨٨٨ م سافر أمين الريحاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية مع عمه عبده الريحاني ومعلمه نعوم مكرزل وكان قد بلغ من العمر اثني عشر عاماً، وفي العام ١٨٩٧ التحق بمعهد الحقوق في جامعة نيويورك، واستمر فيه لمدة عام وبعد أن شعر بالمرض، ذهب إلى أحد الأطباء فأشار عليه الطبيب بالعودة إلى لبنان.^(٢) وظل الريحاني على مدى الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي يلقي المحاضرات ويشارك في الندوات في أرقى الجامعات الأميركية ومراكز أبحاثها وينشر المقالات في أهم الصحف والمجلات الأميركية.

وفاة أمين الريحاني:

في ١٥ أغسطس عام ١٩٤٠، تعرض أمين الريحاني لحادث سقوط عن دراجة اعتاد أن يركبها على طرقات الجبل حول بلدته الفريكة، ودخل المستشفى وتوفي في ١٣ سبتمبر عام ١٩٤٠ وتُفن في بلدته وقد أُقيم له تمثالاً نُصب في باحة كلية الآداب في الجامعة اللبنانية.

٢- أسباب تأليف الكتاب:

كان الريحاني قد قام برحلات عديدة إلى فرنسا كصحفي يغطي أحداث الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) ثم سافر إلى إسبانيا وشاهد آثار الحضارة العربية فيها، كذلك سافر إلى المكسيك بطلب من سفير فرنسا للدعوة بين المغتربين العرب لتأييد الحلفاء، لكن حكومة المكسيك سرعان ما اضطرت إلى الرحيل، كما إنه في رحلته العربية كان يحمل

(١) حسن محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٨٩، ص ١٥-

١٦، حسنى محمود حسين (د): أدب الرحالة عند العرب، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، لبنان ١٩٨٣، ص ٦-١٢

(٢) د. أحمد أبوحاقة: مرجع سابق، بيروت ١٩٨٨، ص ١٢١-١٢٢.

خطابات توصية به إلى بعض السفراء الأميركيين، وقد ثارت مؤخرًا ضجة صحافية حول علاقته بوزارة الخارجية الأمريكية كل ذلك قبل رحلته التاريخية في الشرق العربي ولقد تنوعت كتابات الريحاني من الأدب والإصلاح الاجتماعي والدعوة إلى الحرية والإخاء الإنساني والتسامح والعدالة الاجتماعية والتعاون العربي البناء، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ م كانت فكرة الترحال في أنحاء البلاد العربية قد اختمرت في ذهن الريحاني لدراستها والتعريف أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمل على إقامة جسور التواصل السياسي والثقافي بين شعوبها. (١)

يقول الرحالة في مقدمته: "لله أنت أيتها البلاد العربية التي لم يشأ أن أجهلك حياتي كلها، فبعث إلى بعيد عنك إنكليزيا يعرفني إلى رسولك، وأميركيًا يصف لي محاسن أبنائك. بعد أن قرأت كتاب الحمراء مازج عقليتي الأمريكية الفرنسية الإنكليزية شيء من الخيال الشرقي، فصرت أحلم بذاك المجد الماضي أحلامًا تمتلني حيا فيه، أو تمتله حيا أمامي. عدت إلى بلادي كئيبيًا يحمل كتابًا، ويرغب في أن يكون الكتاب مئة كتاب، وكنت لا أعرف من لغتي وآدابها غير اليسير اليسير، فتغلغلت في سراديبها دون أن أرثي لحالي، وبيننا أنا أتخبط في دياجى اللغة عثرت على كتاب شعر أنساني الكسائي وسيبويه وكل من علم حرفًا في البصرة والكوفة عدت من أميركا، استصحب صاحب اللزوميات، وكمن ترجمانه هناك فساقنتني المهنة إلى الدائرة الشرقية في دار الكتب العمومية . فاجتمعت فيها بعدد من المستشرقين الذين صوروا لي الحياة رحلة في الأرض دائمة (٢)، وصوروا الأرض بادية عربية كل هؤلاء الأجانب يسيحون في بلاد كانت قديما - ولا شك - بلاد أجدادي، وبخاطرون بأنفسهم فيها حبًا بالعلم؛ فيكشفون منه المخبأ ويجلون الصدا، ويقربون البعيد، ويعربون في اللذيذ المفيد.

(١) د. حسنى محمود حسين: مرجع سابق، ص ٦-٧، حسن محمد فهميم: مرجع سابق، ص ١٥-١٦.

(٢) أمين الريحاني: ملوك العرب، ج ١، دار الجيل بيروت، ١٩٨٧، ص ٦.

في نيتي رحلة إلى البادية، إلى البلاد العربية، على هجين يبعثني عن كل مظلمة، وعن كل عبودية.

رافقت العرب في خروجهم على الترك أثناء الحرب، أكبرت الملك حسيناً الذي استنفر القبائل على الترك، وأرسل أولاده الأمراء الأربعة إلى ساحات الوغى. وعندما انتهت الحرب كان الملك حسين أول من صورته الآمال ملكاً يفتح أي بابها.

وبينا أنا أفكر في طريقة تحمل إليه أمنيته القصوى، جاءتني مجلة صديقي سليم سرقيس، وفيها خبر زيارته لتلك السدة الهاشمية المباركة. وأهم من ذلك يومئذ خبر قرأته مدهوشاً مسروراً عن صديقي قسطنطين يني، الذي أبعثته عني الحرب العظمى وحرمتي أخباره. ف جاء العزيز سرقيس كأنه رسول العناية إلى يبشرنى بوجوده في خدمة الملك حسين .

هللت وكبرت وتناولت القلم وكتبت تَوّاً إلى العزيز قسطنطين كتاباً فيه بين السلامين مئة سؤال وسؤال أولها : هل يأذن جلالة الملك بالزيارة ؟ وآخرها : هل ترافقتي أنت في هذه الرحلة ؟ وما مضى الشهر الأول ونصف الثاني حتى جاني الجواب وفيه ما يلي :^(١)

"اتفق أن وصل كتابك إليّ وجلالة الملك حسين في جدة، فقرأته له كلمة كلمة، وتباحثنا في الموضوع، وهو يرحّب بك إذا حضرت . ولا لزوم للسياحة في جزيرة العرب كلها، فهو يساعدك على زيارة الحجاز من أقصاه إلى أقصاه، ويعطيك المعلومات اللازمة، ويطلعك على جميع العقود والنصوص والمفاوضات بينه وبين الدول من مطلع النهضة إلى اليوم، ليكون في استطاعتك تأليف كتاب عن العرب مستوفٍ من جميع أبوابه . ومن رأيه أنك لو درست أخلاق قبائل الحجاز تكون قد درست أخلاق بقية القبائل؛ لأنهم كلهم منقاريون في العادات والمشارب. أما زيارتك الرياض وابن سعود، فهذه مستحيلة لاستحكام العداء بينه وبين الحجاز. والسياسة توافق أن تكون في فصل الشتاء، ولا تستغرق أكثر من أربعة أشهر، ولو انتهت في بغداد. وإنني بكل سرور أرافقك حيث شئت .

(١) أمين الريحاني : مصدر سابق ، ص ص ٩ - ١١

.. في اليوم الخامس من شهر شباط ١٩٢٢ م (٨ رجب ١٣٤٠ هـ) وطئت لأول مرة أرضاً في شبه الجزيرة العربية، وقابلت ملكاً ما عرف العرب غيره من ملوك العرب. جئت من نيويورك أزوره وفي قلبي بعض التردد مما تصورته في رسمه الذي نشرته الجرائد، وقد اجتمعنا في جده يوم وصلت إليها".

ويمضى في الحديث بعد ذلك عن الرحلة العربية الأولى التي كانت حلمًا فأضحت حقيقة، والتي أنتجت كتاب: " ملوك العرب"^(١).

"إني أشتهي أن تكون البلاد العربية مستقلة استقلالاً سياسياً تاماً. ولكني أغار عليها من دسائس السياسية الأجنبية . وإنما السبيل القويم هو في اتحاد ملوك العرب وأمرائهم اتحاداً لا يقدح بسيادة كل منهم ولا يجحف باستقلالهم المركزي التاريخي".

كان الريحاني يحلم بأن يرى أمة عربية قوية موحدة، واختمرت الحلم في ذهنه أثناء سنوات تواجده في الولايات المتحدة الأمريكية ، ورأى الريحاني أن هناك إمكانية إعادة مجد أمة عربية لها تاريخ عريق، حيث قارن وضعها بالنهضة السياسية والاقتصادية التي قامت في الولايات المتحدة التي لم تكن تتكئ على تاريخ أميركي عريق، ولكن استطاعت بقوة إرادتهم ومواجهة كل أنواع التحديات على إقامة تطور حضاري، فكيف لا يحلم بإعادة مجد أمة عربية لها تاريخ عريق، ولها إسهامات كبيرة في بناء الحضارة الإنسانية، ولكن كيف يكون ذلك؟^(٢)

هذا ما جعل الريحاني يشد حقائق الترحال تاركا الولايات المتحدة إحدى دول الحداثة والتطور ، ليعود إلى منطقته العربية، ولكن الريحاني هاله ما شاهد عليه أحوال أمته العربية بعد انتهاء سنوات الحرب وما أعقبها من توقيع اتفاقية سايكس بيكو ١٦ مايو ١٩١٦م، هي اتفاق سري وقع بين كل من فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية، على اقتسام منطقة الهلال الخصيب (حوض نهري دجلة والفرات، والجزء الساحلي من بلاد الشام)

(١) أمين الريحاني: مصدر سابق، ص ص ١٧ - ٢٠

(٢) جمال محمود حجر: الرحالة الغربيون في المشرق الاسلامي في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية،

الإسكندرية ٢٠٠٨، ص ص ٩، ١٠

بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الدولة العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى.^(١)

هذا الوضع السياسي المتزدي كان يسيطر على بلاد الشام موطنه الأصلي فلم يجد هناك من أمل أن يتحقق الحلم الذي كان ينشده، فتوجه صوب جهة جزيرة العربية، حيث كان تأثير القوى الأوروبية عليها أقل وضوحاً إذا استثنينا الوجود البريطاني في السواحل الشرقية للجزيرة العربية وكذلك سواحلها الجنوبية، حيث من هناك - أي في الجزيرة العربية - اندلعت الثورة العربية الكبرى، هي ثورة مسلحة ضد الدولة العثمانية، بدأت في الحجاز، حينما أطلق الشريف حسين طلقة واحدة من بندقيته، في التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ - ١٠ يونيو ١٩١٦م في مكة المكرمة وكان لدوي تلك الطلقة صدى في جدة والطائف والمدينة وامتدت الثورة ضد العثمانيين بعد إخراجهم من الحجاز حتى وصلت سوريا العثمانية، وإسقاط الحكم العثماني فيها، وفي العراق؛ وذلك نتيجة للسياسة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، والتطلعات القومية العربية والرغبة في بناء دولة عربية ناهضة، تنقل العرب من عصر الانحطاط والتخلف إلى الارتقاء الحضاري.

وظلت هناك ثلاثة أحداث سياسية تتعلق بموضوع الوحدة، أولها في قلب نجد حيث كان الملك عبد العزيز يعمل بجد على توحيد نجد وإخراجها من التشرذم السياسي، وثاني هذه الوحدات السياسية في اليمن حيث كان هناك الإمام يحيى حميد الدين الذي أجبر القوات العثمانية على الانسحاب من اليمن بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨ م) ورغبة الإمام في توحيد الأراضي اليمنية من خلال إقناع القبائل باتباعه والقتال تحت رايته واجب ديني لرفع الظلم عنهم.^(٢)

(١) Antonius, G: The Arab Awakening. The Story of the Arab National Movement. London: Hamish Hamilton Puplicer: xi,, (1938), p . 471

(٢) Hogarth, D. G.: "Great Britain and the Arabs up to the Armistice of the 30th October 1918", H. W. V. Temperley (ed.) A History of the Peace Conference of Paris: Vol. 6. London, British Institute of International Affairs (1926), pp. 118-183

وإضافة إلى هذين الكيانين السياسيين اللذين لم يكن لأي من الدول الأوروبية عليهما سيطرة توجد إمارة الإدريسي في جازان، وقد قام أمين الريحاني برحلة عظيمة هي أقرب إلى المغامرة في معظم أنحاء الجزيرة العربية يبحث عن أمل يبعث في الروح العربية يقظة، ومن المكان الذي منه انطلقت يقظة العرب وبرزت منه عظمة تاريخ العرب، فزار اليمن فلم يجد ما يسره، فالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، هناك سيئة للغاية، ولا يوجد ما يبشر بالحد الأدنى من الأمل، حيث كان يعاني تحت حكم إمامي متخلف يعود في أفكاره إلى القرون الوسطى. ترك اليمن واتجه إلى " صيبا " عاصمة إمارة السيد الإدريسي، فلم يجد إلا سيدياً يدعي من القداسات والخرافات ما يذهل به عقول شعب جاهل يصدق كل خرافاته، فغادر جازان إلى الحجاز موطن الثورة العربية الكبرى، فوجد قائد الثورة الشريف الحسين يعيش أوهاماً، ومنتظر وعوداً من بريطانيا التي لم يكن واداً لديها منذ توقيع اتفاقات الحسين - كماهون ذات الوعود الكاذبة أن تقي بشيء منها، ووجد الحجاز حائراً يتخبط لا يعرف لمستقبله السياسي أي بصيص من أمل. (١)

كانت المحطة الكبرى في رحلة أمين الريحاني في جزيرة العرب لقاءه بالملك عبد العزيز في ميناء القصير على ساحل الإحساء، والملك حينذاك يستقبل برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في منطقة الخليج والعراق وبلاد فارس، ذهل الريحاني وهو يقف أمام قامة عربية شامخة يفاوض بكل شجاعة وبكل إباء مع مندوب أكبر دولة في العالم حول قضايا حدود بلاده من الجهات الشرقية والشمالية الشرقية وكذلك الشمالية الغربية، ويصر على أن حدود نجد تمتد إلى مشارف بغداد ومشارف عمان، وأنه صاحب الحق التاريخي في حكم كل

(١) Bowden, James L: An Empire of the Hejaz? An Examination of Sharif Hussein's Pre-World War I Imperial Ambitions. World History Bulletin, United States of America. ACADEMIC JOURNAL ARTICLE Vol XXXI (1), 2015. 4-7 & Hogarth, D. G op. cit, P ,pp. 118-183

، محمد عبد الجبار سلام: الأئمة ونظام الحكم ودور حركة المعارضة اليمنية، الملامح السياسية والفكرية والإعلامية، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، العدد ١٧، جامعة صنعاء، ١٩٩٤م، ص ٥٩٣.

سواحل الخليج العربي، أي شخصية عربية هذه يقف الريحاني أمامها وفي ساحتها؟ من هنا لمع في ذهن الريحاني العربي الحالم بأمة عربية بأنه وجد ضالته ووجد الأمل الذي يبحث عنه منذ تلك اللحظة التي غادر فيها نيويورك.^(١)

لقد أراد الريحاني الترحال إلى مختلف البلاد العربية ليُفتح ملوكها بالوحدة العربية، بالأخذ بأسباب الحياة المدنية الحديثة والمعاصرة حتى يعم النفع والازدهار على الشعب العربية، وكان كتابه (ملوك العرب) حصيلة تلك المهمة التي اضطلع بها إلى الحجاز أولاً، ثم اليمن وعسير ونجد والعراق، ولعل المُتمعن في كتابه هذا سيد نفسه أمام شخصية فذة ذات ثقافة موسوعية وفكر متين وقلم رصين. ورغم أن الكتاب يحكي لقاءات الريحاني مع الملوك العرب ومحاولاته معهم من أجل لمّ صفّ الأمة العربية، إلاّ إنه أكثر من ذلك، فهو يعد وثيقة تاريخية وأدبية واجتماعية لا غنى عنها.

٣- التعريف بالكتاب:

تناول المؤلف أمين فارس الريحاني حياة تسعة من الملوك الذين زارهم وتعرف عليهم من قرب وهم في الجزء الأول الملك حسين بن علي، والإمام يحيى بن حميد الدين إمام المملكة اليمينية المتوكلية التي نحن بصدد الحديث عنها في البحث، والسيد الإدريسي حاكم عسير، وفي الجزء الثاني تناول فيه أيضاً جوانب من حياة الملك عبد العزيز آل سعود، وأحمد الجابر الصباح حاكم الكويت، والشيوخ خزعل خان حاكم عرستان، وآل خليفة حكام البحرين، والملك فيصل الأول ملك العراق.

ويعد كتاب ملوك العرب من أشهر كتب الريحاني وأوسعها انتشاراً، حيث ضم في مادته ترجمة لثمانية من ملوك العرب، وصدرت طبعته الأولى في بيروت ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م ويقع الكتاب في جزأين كبيرين يمتدان على ٩٦٠ صفحة، وزين المؤلف كتابه برسوم وخرائط وفهرست أعلام، وقد بلغت عدد طبعات "ملوك العرب" حوالي ١٢ طبعة، وبلغت الترجمات بنحو ستة عشرة ترجمة، وصل عدد المقالات المنشورة حول الكتاب إلى ١٢٧ مقالة في تسع لغات نُشرت في إحدى وعشرين دولة.

(١) د. هويدا أحمد على أحمد: الصراع الإقليمي والنولي على اليمن ١٩٦٢ - ١٩٧٠ م، رسالة ماجستير، قسم

التاريخ، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٢، ص ص ٢٠، ٢١

ورغم منع الكتاب عند صدوره من دخول بعض الدول العربية، فما لبث إلا والجامعات حول العالم تعتمد على لطلاب العلوم السياسية، والدراسات الشرق أوسطية، ومن هذه الجامعات: جامعة هامبورغ في ألمانيا، جامعة سان بطرسبرغ في روسيا، جامعة برنستون وجامعة إنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من الجامعات العربية والعالمية.

٤- منهج المؤلف:

يتناول الريحاني في كتاب ملوك العرب حياة سبعة من ملوك وأمرء العرب غير الملك حسين بن علي، وجميعهم ملوك وأمرء مع اختلافهم في الألقاب أحياناً، على أنهم مستقلون ولا يوجد أي رابط فيما بينهم ويجهلون بعضهم البعض، فضلاً عن مجموعة غنية من المعلومات و الأفكار والآراء الخاصة بالمنطقة العربية، بناء على الفكر المتعدد الحقول والرحب الآفاق، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأدبياً وفكرياً. (١)

اعتمد الريحاني على أسلوب السرد الذي يعد أداة للتعبير الإنساني، حيث يقوم بترجمة الأفعال والسلوكيات الإنسانية والأماكن إلى بني من المعاني بأسلوب السرد، وبذلك يكون الكاتب قد قام بتحويل المعلومة إلى كلام مع ترتيب الأحداث، ليس المقصود هنا الكلام غير المنتظم الذي لا يوجد فيه ترتيب للأحداث، أو ذلك الذي فيه انعدام للانسجام بين كلماته وجمله ومعانيه. وفي السرد تتلشى الحاجة لشرح أفكار أو لتلخيص المراد أو إعطاء مواظ، وذلك لأن السرد يظهر كل ما هو مراد. (٢)

نقل الريحاني للباحث بالتاريخ الحديث والمعاصر لليمن معلومات عن سياسة الإمام يحيى، والمجتمع اليمني وعاداته وتقاليده، ومُدققاً في السماسر والمقاهي، مُستطلعاً أحوال الأسعار، وإيجارات المنازل، مُستحضراً سلوك الناس ومقيل القات وطُقوسه، وطُرق التحية والسلام، ولُغة الخطاب والمراسلات، تلك اللُغة التي تكشف عن نوعية ثقافة المجتمع وعن طبيعة علاقة الحاكم بالمحكوم مُستنبطاً الفوارق السلوكية في المجتمع على أساس البيئة

(١) د.علي عفيفي على غازي: كتابات الرحالة مصدر تاريخي، المجلة العربية المملكة العربية السعودية، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٧، ص ص ٦٥ - ٦٨

(٢) د. أحمد أبو حاققة: المرجع سابق، ص ص ١١٩ - ١٢٠

ونوعية الثقافة، وعقد المقارنات بين البلدان أو الأشخاص، وتحدث عن تدهور أوضاع المنظومة العسكرية في عهد الإمام يحيى وتحدث عن تفاصيل الملابس التي يرتديها جندي الإمام، وكيف حرص على أن يظل هذا الوضع على ما هو عليه، خشية من أن يقوم بتطوير وإصلاح، ومن ثم يمثل مصدر تهديد لكيان الإمامة المتوكلية في اليمن^(١).

كما تطرق الرحالة بعد ذلك إلى سرد المعلومات القيمة عن أماكن لم يرتدها أحد من حكام ومواطني الدول العربية، وتجعلنا نرى بعيون الرحالة أمين الريحاني كيف كانت الحياة داخل المملكة اليمنية في ذلك الوقت، لإكمال الصورة العامة للعرض التاريخي عن السياسية الخارجية للإمام يحيى بصفة خاصة والمجتمع اليمني بصفة عامه خلال حقبة العشرينات من القرن العشرين، ومن ثم تكتسب رحلة أمين الريحاني إلى اليمن مكانة خاصة في المكتبة التاريخية؛ نظراً إلى ما تتضمنه من معلومات رصينة عن مختلف مجالات الحياة السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية، والحضارية، الثقافية والعلمية والطبيعية، وكان الريحاني يحاول رسم صورة واضحة المعالم عن المملكة اليمنية، كان حريصاً على أن يُنوع في مصادرها أو منابعها، فهو يستنتجها تارةً من خلال ملاحظاته ومُشاهداته، أو من خلال تدوين شهادات أشخاص، أو من خلال قراءاته وإطلاعه^(٢).

أحداث الرحلة مصدر تاريخي:

إن رحلة أمين الريحاني للمملكة اليمنية تعد مصدراً تاريخياً لأن كاتبها كان شاهد عيان في مواجهه الواقع الذي ساد، فعكست ما رآته عينه؛ وسمعتة أذنه، ولمسته يده، وكانت مرآة الزمن في اللحظة التاريخية التي زار فيها لليمن، والتقى فيها مع الإمام يحيى ودون لنا انطباعه عن الأوضاع السياسية الخارجية والداخلية لليمن، كما لمس عادات وتقاليد المجتمع، ولا يمكن أن يجد الباحث في الوثائق الرسمية ما يجده عند الرحالة من وصف جوانب المختلفة سواء سياسة أو اجتماعية أو اقتصادية وهذه الجوانب مجتمعة غائبة في كثير من الكتابات التاريخية.

(١) عبد الرحمن مجاهد : مجاهد حسن غالب والحركة الوطنية اليمنية، دار المستقبل للطباعة-دمشق، ١٩٩٦، ص ٣٧- ٣٨ .، محسن أحمد العيني: معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٥١.

(٢) د.علي عفيفي على غازي: مرجع سابق، ص ٧٣ .

ومتى أخضعت كتابات الرحالة للنقد العلمي صارت منهجية وموضوعية؛ لأن المؤرخ والباحث يتجنب ذاتية الرحالة، ويستتبط من موضوعيته ما يفيد، ولعل أفضل ما يقدمه الرحالة لعلم التاريخ هو إمساكه باللحظة التاريخية وقت حدوثها لتبقى حية إلى أن تصل إلينا، فمع الرحالة، نستحضر الماضي حياً كما رآه بنفسه، وكما سجله بقلمه^(١)

أحداث الرحلة :

- وصول إلى جدة يوم الخامس والعشرين من شباط عام ١٩٢٢م
- اجتماع بالصدّيقين : قسطنطين يني وفؤاد الخطيب
- اجتماع بالملك حسين وإطلاعه على الغاية من الرحلة .
- سياحة في أرض الحجاز، وإطلاع على ما فيها طبيعةً وعمراًً وبشراً، ومشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية وحضارية بصورة عامة
- تشاور مع الملك هدفه توطيد السلام بين أسياذ العرب وبرمجه تعاونهم في سبيل العمران والرقى والتطور والخروج من التخلف الذي تتخبط فيه البلاد . والنقطة الأولى في هذا المشروع عقد معاهدة ثنائية بين الملك حسين والإمام يحيى إمام اليمن لتكون تمهيداً لمعاهدة أوسع نطاقاً تشمل أسياذ الجزيرة العربية كلهم، فوافق الملك حسين شرط أن يعترف الإمام ملكاً على العرب.
- الرحلة إلى اليمن بعد الحصول على موافقة الإمام يحيى بدخول اليمن .
- قسطنطين يني يرافق الأمين في سفره .
- الوصول إلى عدن والخضوع لمعاملات بريطانية .
- نصيحة السلطات البريطانية للريحان ورفيقة بعدم السفر إلى صنعاء تلافياً للكثير من الأخطار .
- الريحاني يتحدى المخاطر ويقرر الذهاب إلى اليمن، لكنه ظل ينتظر جواب موافقة الإمام يحيى، وعندما جاء الجواب بالترحيب، شدّ رحاله وقال : وقبل انبلاج الفجر ركبنا سيارة صغيرة وخرجنا من لحج نبغي الدكيم التي كانت يومئذ حدود السلطنة للحجية شمالاً، وعند الغروب وصلنا إلى قصر السلطان على بن مانع في المسيمير سلطان الحواشب، وبعد مقابلته تابعاً طريقهما إلى صنعاء "

(١) المرجع نفسه : ص ٤٨ - ٥٠ .

- بلوغ صنعاء عاصمة اليمن في الثامن عشر من نيسان عام ١٩٢٢م بعد مسيرة أسبوعين كاملين مغمورة بالمشقات .
- استقبال الإمام يحيى للزائرين بحفاوة بالغة، واستفهامه عن سبب زيارتهما لليمن .
- اطمئنانه إليهما وإلى حسن نيتهما ورغبتهما في خدمة العرب جميعاً لتوحيد كلمتهم.
- إقامة الريحاني وصديقة في اليمن وسياحتهما في ربوعه واطلاعهما على أحواله
- توثيق العلاقة بين الريحاني والإمام يحيى، والتشاور في الأمور السياسية والاقتصادية والعلاقات الدولية. وحث الريحاني للإمام على التفاهم مع الإنجليز وعهد معاهدات صداقة وتعاون مع الملك حسين وابن سعود بغية الاستقرار السياسي للمنطقة ومن ثم النهوض الاقتصادية واجتماعيه بالدول العربية.

يقول الريحاني:

"إني أشتهي أن تكون البلاد العربية مستقلة استقلالاً سياسياً تاماً، ولكني أغار عليها من سانس السياسية الأجنبية، وإنما السبيل القويم هو في اتحاد ملوك العرب وأمرائها اتحاداً لا يقدح بسيادة كل منهم ولا يجحف باستقلالهم المركزي التاريخي " كما حاول اقناعه بفتح البلاد للتجارة الأجنبية ونشر الثقافة والصناعة والعلوم الحديثة فيها .ولقد رضي الإمام بعقد معاهده ولائية مع الحجاز كتبها الريحاني بنفسه وأرسل نسخه منها إلى الملك حسين .

- جمع المعلومات عن بلاد اليمن (طبيعتها - مواردها - عادات أهلها ومستوى رقيهم الاجتماعي وتأثير الإمام وحكمه).

يقول الريحاني: " من فوائد السفر البطيء على ما فيه من مشقة وعناء أنه يمكن طالب العلم من الدرس والاستقصاء والاكتشاف، كنا في طريقنا من أحج إلى صنعاء سوئلاً مجسماً، سوئلاً حياً متحركاً إذا أن لنا بالاستعارة، وحسبنا في الأماكن أن نقف ساكتين صابرين، فيجئنا صاحب الإمام مادحاً، ويجئنا عدو الإمام قادحاً، فضلاً عن الفلاحين والجنود، وقد عضهم البؤس والفقر .يجيئوننا شاكين ومتبرعين همساً بما نبغيه من معلومات. فوصلنا إلى صنعاء وعندما خيرات من أخبار اليمن والزيود ."

- إقامة طويلة في اليمن وإعجاب متبادل بين الريحاني والإمام يحيى .
- انتهت إقامة الريحاني في اليمن باستئذان الرحالة وانتقاله إلى زيارة السيد الإبريسي في الحديدة

- عرض مشروع معاهدة رباعية بين الإدريسي والإمام يحيى والملك حسين وابن سعود ناشدًا السلام والتعاون. (١)

- النقد التاريخي لكتابات الرحالة:

أولاً : أراد الرحالة أمين الريحاني من خلال رحلته إلى المملكة اليمينية المتوكلية المنعزلة عن العالم إقناع إمامها الإمام يحيى بن حميد الدين بنقل البلاد من عصور التخلف والجهل والظلام التي كان يعيشها إلى عالم التطور والنهضة والرقى والتقدم والعلوم الحديثة فيها، ولقد وافق الإمام بعقد معاهدة ولأثية مع الحجاز كتبها الريحاني بنفسه وأرسل نسخه منها إلى الملك حسين .

ثانياً: جمع المعلومات عن المملكة اليمينية سياسة الإمام الخارجية والداخلية وطبيعتها - مواردها - عادات أهلها - ومستوى الطبقات الاجتماعية.

تشكّلت لدي الريحاني صورة ذهنية واضحة المعالم بعد مقابلته لأحد مواطني اليمن في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية واصفاً بلاده قائلاً : "بلاننا طيبة الهواء والماء، لكن أهلها دائماً في احتراب فقلت، ومن تحاربون؟ فأجاب:، حاربنا الأتراك، وحاربنا القبائل، وحاربنا الإدريسي، ويحارب دائماً بعضنا بعضاً".... ثم سألته ما إذا كان من أجنب في اليمن، فقال : لا، وإنه لا يؤذن لهم لا بالذهاب ولا بالإقامة هناك". - وإذا جاعكم الأجنبي؟ - والله نذبحه. - وإذا ساح مُتتكرًا؟ - إذا عرفناه، فوا لله نذبحه. - أو ما يؤذن للسوري وهو عربيّ متلكم؟ - إذا كان مسيحياً فهو والفرنجي سواء عند أهل اليمن، وقد يحميه لسانه أو يُصرف النظر عنه." (٢)

فقد كانت المملكة اليمينية المتوكلية تحت حكم الإمام يحيى محمد حميد الدين محمد المتوكل (١٩٠٤م - ١٩٤٨م) هو مؤسس المملكة المتوكلية اليمينية، حيث أجبر الأتراك على الاعتراف به إماماً مستقلاً على شمال اليمن في العام ١٩١١ م بعد حروب متواصلة ضد العثمانيين بعد الحرب العالمية الأولى تخلصت المناطق الشمالية لليمن من التأثير التركي

(١) أمين الريحاني: مصدر سابق، ص ٧٧ - ٨٠.

(٢) أمين الريحاني: مصدر سابق، ص ٧٧ - ٧٨.

نهائيًا، وتعرض حكم الإمام لعدة تحديات أبرزها "الثورات الفكرية" وانتهج الإمام سياسية انعزالية خوفًا من امتدادها إلى اليمن.^(١)

فعاثت المملكة من العزلة التامة عن العالم و الكثير من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تلك الأوضاع المتردية والتي أكدتها التحذيرات المتعددة التي تلقاها الريحاني من أصدقائه ومعارفه الأمريكيين وسلطات الاحتلال البريطاني في الجنوب اليمني، التي كانت ترى السفر إلى اليمن يمثل خطورة على حياته ولا تضمن له سلامه الرجوع إلى وطنه، بل هو - حسب تعبير صديق الريحاني، نعوم شقير: "مُستحيل".^(٢)

رغم إن كل الشواهد والأحاديث عن اليمن كانت غير مشجعه على القيام برحلته إلى هناك، إلا إنه كان لديه إرادة وعزيمة قوية شجعته في القيام برحلته فوصل إلى عدن في مارس عام ١٩٢٢م ببيلته الإفرنجية وشاله وعقاله بصحبة "قسطنطين يني"^(*) ومن عدن صعد الريحاني، مرورًا بلحج إلى المسمير، وصولاً إلى ماوية، أولى معاقل النفوذ الأمامي، ومنها إلى إب وبريم وعمار وصولاً إلى صنعاء دار الإمامة التي غادرها يوم رحل إلى مناخة وحرارز وباجل، مُستقرًا في الحديدة، ومُنطلقًا منها إلى شمالي تهامة في جيزان، حيثُ معقل الإدريسي، ومُرتدًا منها إلى الحديدة، فعدن ولحج، ودون الريحاني كل ما رآه أو سمعه أو قرأه، في كل تلك المدن والقرى والمناطق التي مر بها.

(١) حسن أحمد أبو طالب: الصراع بين شطري اليمن جنوره وتطورات، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٨، محمد على الشهاري: نظرة على بعض قضايا الثورة اليمنية، مكتبة مديولى، ط ١، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ٢٨-٣٩.

(٢) زيد المحبشي وآخرون: اليمن ودول الخليج العربي، دراسة تحليلية توثيقية لعلاقات اليمن مع المملكة العربية السعودية، سلطنة عمان، دولة قطر، الإمارات العربية المتحدة، مملكة البحرين، دولة الكويت، علاقات اليمن مع مجلس التعاون لدول الخليج، مركز البحوث والمعلومات، وكالة الأنباء اليمنية سبأ، صنعاء، سبتمبر، ٢٠٠٥م، ص ٢٧٠، عبد الواسع بن يحيى الواسع اليمني: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوالت وتاريخ اليمن، منشورات مكتبة اليمن الكبرى للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، صنعاء، ١٩٩١م، ص ٢٩٨.

(*) صديق الريحاني وابن بلنته كان حمل جواز سفر حجازي، وعمل في بلاط الملك حسين مُلازمًا في الجيش.

(*) صديق الريحاني وابن بلنته كان حمل جواز سفر حجازي، وعمل في بلاط الملك حسين مُلازمًا في الجيش.

استهل الرحالة أمين الريحاني في القسم الثاني من الجزء الأول لكتاب ملوك العرب بالحديث عن الموقع الجغرافي لليمن فضلا عن أهم ألبتته ومساحته ومدنه وقبائله ومذاهبه فنكر ما يلي: "حدوده : جنوبا خط يمتد من المخا على البحر الأحمر إلى تعز فماويه فقطعبه. شمالاً خط يمر من بلاد خولان وبني بشر الى نجران. غرباً البحر الأحمر من الشيخ سعيد الى ميدي وشرقاً البحر السافي او الربع الخالي.

الويته : لواء صنعاء ولواء الحديد ولواء تعز ولواء صعيده

عدد سكانه: نحو مليوني نفس ونص المليون

مساحته: نحو أربعين ألف ميل مربع

أهم قبائله: حاشد وبكيل وحمدان والحوارثة وذو محمد وذو حسين وبنو إسلام وبنو

مطر والمكارنة.

أهم مدنه : صنعاء ونمار وبريم وإب وتعز وزبيد وبيت الفقيه ومناخة .

مذاهبه : الزيدية والإسماعيلية والسنة (شوافع) واليهود^(١)

الأوضاع السياسية الداخلية:

تتاول الريحاني الحديث عن الأوضاع السياسية الداخلية ونظام حكم الإمامة المتوكلية، وطبقات المجتمع المختلفة وتنوع العادات والتقاليد، حدد الرحالة مواقع المدن وتناول أهم ما يميزها واصفاً ما تشتمل عليه المدن و البيوت من معمار وأشكال وأقسام وغرف، مُدعِّمةً بوقائع التاريخ أو عادات السكان، وتطرق إلى الطابع الإنساني فهو تحدث عن أهل اليمن وتمسكهم بمدنهم ويقراهم وما يتميزون به من دفاء وعواطف، بالإضافة إلى ذلك صور الريحاني الطبيعة الجغرافية للمكان بكل مظاهرها من الوديان والجبال والسُّهول والأشجار والنباتات والمزارع ، مُلتمساً في تنوين ذلك قالباً أدبياً ولُغةً جميلةً فيها الشُّعريُّ الرقراق، والسردى المتميز .

لقد حرص الرحالة أمين الريحاني في التدوين على استعمال ألفاظ اللهجة المحليَّة والتعليق عليها وشرح بعض المفردات اليمنية، وأدى ذلك إلى وقعه في بعض أخطاء نُطقية وإملائية في أسماء الأماكن أو الأشياء، فمثلاً كان يُسمِّي جبل «نُقم» : «لُقم»، ووادي «نُبن»

(١) أمين الريحاني: مصدر سابق ، ص ٧٦ .

: «دُبْن»، وجبل «عَصْر»: «عَصْر» - بضم العين والصاد - و«الزلط»: «الظلط»، والدُّخْن: «الدُّخَان» وغير ذلك كثير.

نظام الرهائن Hostage system:

إن السياسة المركزية المفرطة كانت السمة الغالبة للنظام الإمامي الملكي داخل اليمن، ليس ثمة ظاهرة سياسية اجتماعية، حظيت باستهجان ونقد معظم الرحالة والكتاب والمؤرخين، مثل نظام الرهائن Hostage system في المملكة المتوكلية اليمنية (١٩١٨-١٩٦٢)، الذي ارتكز عليه الإمام يحيى طوال فترة حكمه، ولم تلق هذه الظاهرة قبولاً سوى من بعض من أرخ للإمامة من جانب رسمي.^(١)

انتقد الرحلة الريحاني نظام الرهائن الذي تحول إلي نظام قائم بذاته، حيث تميز بوسائله المتعددة ومقاصده وغاياته التي تتلخص في تثبيت النظام وفرض الولاء للإمام وشجعه على ذلك انه بعد خروج الأتراك لم تكن هناك قوة حقيقية تستطيع منافسته، ومع ذلك وجد الإمام نفسه بحاجة إلى أعمال القوة لسيطرتة ونفوذه على سائر البلاد، فاستخدام نظام الرهائن على نطاق واسع.^(٢)

يقول الريحاني: " فقد خرج لملاقاتنا أولاد المدرسة مع شيوخهم الفقيه، فاصطفوا إلى جانب الطريق...ولكني علمت أن الأولاد هم من الرهائن عند الإمام. إنه لحكم عسكري قاسٍ شديد، بل اشتباه وارتياب. فلا عجب إذا أخلص العمال لرئيسهم الأكبر ولكل واحد ولد عنده أو أخ أو قريب عزيز"^(٣).

إن اعتماد الإمامة المتوكلية على نظام الرهائن الذي جرى استخدامه في اليمن لقرون طويلة لدرجة أو بأخرى قد مكنها من إحكام سيطرتها على زمام أمور الدولة، وقد صاحب عملية بسط السلطة المركزية وتعميم نظام الرهائن على معظم مناطق اليمن العديد من

(١) محمد محسن الظاهري: الدور السياسي للقبليّة في الجمهورية العربية اليمنية ١٩٦٢ - ١٩٩٠م، رسالة ماجستير، كلية الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٠٠ .

(٢) هويدا أحمد على أحمد (د) : مرجع سابق ، ص ص ٢٤ ، ٢٥ ، انظر أيضاً:

Huns, Helfritz: The Yemen A Secret Journey, London, 1958, pp. 128 - 130

(٣) أمين الريحاني : ص ص ١٠٩ - ١١٠ .

التمردات والانتفاضات التي عبرت عن الرفض لهذا النظام، ولكن دون جدوى، فقد كان النظام عامل ضغط على شيوخ القبائل حتى لا يدبرون المؤامرات، ضد الأمام وإذا ثبت غير ذلك يتم تصفية الرهينة، وبذلك كان نظام الرهائن أحد أساليب التعسف السياسي التي ارتكز عليها نظام الإمامة في القضاء على ثورات القبائل ضد نظام آل حميد^(١)

ركز الرحالة الريحاني في كتابه على ما غفل عنه الباحثون والدارسون والذين ركزوا اهتمامهم على البعد التاريخي، ولم يتطرقوا بصورة أعمق إلى الأبعاد الأخرى لهذا النظام وإلى آثاره السياسية والاجتماعية والنفسية على ضحاياه، الذين لبث بعضهم سنوات خلف الأسوار ينتظرون الخلاص والعودة إلى أهلهم وذويهم^(٢).

إن النظام الإداري لم يخلُ من المركزية، فقد تمحور هذا النظام في شخص الإمام، فقد كان يجمع أنظمة الإدارة المختلفة، تحت السيطرة المباشرة، دون أن يكون لدى الإمامة المتوكلية فكرة أولية عن الحكم المركزي، الذي ينعكس بالإيجاب على كيان الدولة، فلم يكن لدى سلطة الإمامة وزارات من النوع المتعارف عليه، في إدارة شؤون البلاد، وإن وجدت بعض المظاهرات بطرق استثنائية، فقد كانت تخدم مصالح أسرة آل حميد الدين الذاتية، وقد كان على رأس هذه الوزارات أحد أبنائه، أما المسؤولون عن الإدارات الثانوية، فقد كانت لديهم سلطات محدودة للغاية^(٣).

ولم يحرص الإمام يحيى على إدخال تجديدات تواكب احتياجات الدولة العصرية، ومن ثم أصبحت طريقة تعامل الهيئات الإدارية إزاء مطالب واحتياجات المواطنين، تتسم بالإهمال

(١) د. هويدا أحمد على أحمد: مرجع سابق ص ص ٢٣، ٢٤، انظر أيضا:

Huns, Helfritz: op.cit, PP 128 – 130

(٢) محمد محسن الظاهري: مرجع سابق، ص ٩٧، انظر مزيد من التفاصيل عن عوامل استمرار وتنامي دور القبيلة ووجودها السياسي في اليمن، فضلاً عن التركيب الاجتماعي المعاصر للقبيلة في اليمن، والإمكانات الحربية لدى القبيلة، نفس المرجع، ص ص ٨٥ - ١٠٤.

(٣) فاروق عثمان أباطة: المرجع السابق، ص ٤٣٨ محمد عبد السلام: الجمهورية بين السلطنة والقبيلة في اليمن الشمالي، شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٠.

والروتينية والتعسف في جمع الضرائب، كما انتشر الفساد والرشوة في الهيئات الإدارية وعدم النظر في شكاوى ومطالب المواطنين^(١).

كما صورَ الريحاني ما استنتجه وما سمعه عن سُخِّ الإمام (ملك اليمن الزيدي) ونظامه الاقتصادي، فهو "يكثر الضرائب ويدخر الأموال فتقل، ولا غرور، في أيدي الناس، فتُسبب وقوف الأشغال وعسر الأحوال"؛ وبسبب هذا الواقع السياسي تنبأ الريحاني آنذاك بالثورة على الإمام: "أجل، إنَّ الناس مع الإمام اليوم ومع أعدائه غدًا"^(٢).

ونكر أمين الريحاني أن من يريد أن يرى كيف كانت الحياة في القرون الوسطى فعليه بزيارة اليمن فيذكر: "وكأنك في السياحة في تلك البلاد السعيدة، تعود فجأة إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) لا مدارس، ولا جرائد، ولا مطابع، ولا أدوية، ولا أطباء، ولا مستشفيات في اليمن، إن الإمام هو كل شيء هو العالم، والطبيب، والمحامي، والكاهن"^(٣). هذه الصورة للواقع هي مُحصَّلةٌ للسياسة والثقافة والمجتمع، لكنَّ اليد الطولى فيها للسياسة الظلامية الخائفة والمتوجَّسة، المحتمية بنظام حكم يصفه الريحاني بأنه "قاس وشديد، بل حكم اشتباه وارتياب"، وهي السياسة ذاتها التي أفرزت ثقافة اجتماعية تُمارس أشدَّ أنواع القمع ضدَّ الرجال والنساء على حد سواء داخل اليمن، وإن لم يقلها الريحاني صراحةً، لكنَّه بتعريضه كان أبلغ حين قال وهو يحكي عن الطريق إلى الحديدة: "بدأنا نشعر بعد خروجنا من صنعاء بوجود النساء في العالم"^(٤).

وما سمعه واستنتجه عن النظام الاقتصادي المتدهور للإمامة المتوكلية قائلاً: "يكثر الضرائب ويدخر الأموال، فتقل، ولا غرور، في أيدي الناس، فتُسبب وقوف الأشغال وعسر الأحوال". لم يسهَّ الإمام يحيى إلى الاهتمام بالأوضاع الداخلية وتحسين أحوال الشعب اليمني الذي ظل يعاني من المرض والجهل والتخلف في جميع نواحي الحياة، فضلاً عن الفساد

(١) جان جاك بيرني:، ترجمة نجدة هاجر، سعيد العز، جزيرة العرب، دار الآفاق، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٤٩.

(٢) محمد الشعيبي: وثائق ودراسات، سلسلة وثائق الثورة اليمنية والقوى المضادة لها، ٢، دار الكاتب، دمشق، ١٩٨٣، ص ١٤١.

(٣) د. هويدا أحمد علي أحمد: المرجع سابق، ص ص ٤٢ - ٤٧.

(٤) أمين الريحاني: المصدر سابق، ص ١٤٩.

الإداري الذي انتشر بين الموظفين الحكوميين وترتب عليه ظلم الكثير من طبقات المجتمع المختلفة، وبقيت الأوضاع الاقتصادية متردية والتعليم والاتصالات والمواصلات تعاني من الإهمال على الرغم من دعوات الكثير من المنقذين اليمنيين والعرب لإجراء بعض الإصلاحات العامة في اليمن (١)

السياسة الخارجية للإمام يحيى في عيون الرحالة أمين الريحاني:

ونحن بصدد التركيز على صورة سياسية اليمن الخارجية في عيون الرحالة أمين الريحاني نجده يقول: " قد استتب لحضرتي الأمر بعد ذلك، فحكم بيد من حديد. وانتفع بما تخلف من ضباط الترك فنظم قسما من جيشه (٢).

منذ أكثر من ألف عام حكمت اليمن على مذهب الإمامة الزيدية، الذي ادعى أصحابه بأن لهم الحق الإلهي في حكم اليمن، ومن ثم حولوها إلى سجن كبير محاط بأسوار عالية، لم يستطع الشعب اليمني عبوره طوال هذه الألفية (٣).

كانت أسرة آل حميد الدين، آخر أسرة زيدية حكمت اليمن، وأصبح صاحب هذه الادعاء داخل تلك الأسرة الإمام يحيى بن حميد الدين ومن بعده أنجاله خلفه ولده المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين المتوكل على الله على كرسي الأمام عام ١٩٠٤م. (٤)

وفي عام ١٩٢٠، غير الإمام يحيى اسم الدولة من إمامة اليمن الزيدية إلى المملكة المتوكلية اليمنية، ووقع العديد من المعاهدات للاعتراف باليمن كدولة ذات سيادة، ولكن ظلت

(١) شاکر محمد خضر، الحركة الوطنية في اليمن، القطر الشمالي ١٩١٨-١٩٦٢، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية (الملغى)، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨١، ص ٣١. انظر مزيد التفاصيل عن تدهور الأوضاع المختلفة داخل اليمن هويدا أحمد علي أحمد: الصراع الإقليمي والدولي على اليمن ١٩٦٢ - ١٩٧٠م، رساله ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٢، ص ص ٤٢ - ٥١

(٢) الريحاني: مصدر سابق، ص ١٤٠، محمد الشعبي: وثائق ودراسات، سلسلة وثائق الثورة اليمنية والقوى المضادة لها، ج٢، دار الكاتب، دمشق، ١٩٨٣، ص ١٤١.

(٣) محمد عبد الجبار سلام: الأئمة ونظام الحكم ودور حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص ٥٩٣ محمد الشعبي: مرجع سابق ص ١٤١. الريحاني: مصدر سابق، ص، ١٤٩

(٤) عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليمني: مرجع سابق، ص ٢٩٨.

العزلة والجمود التاريخي التي اعتمد عليها الإمام عملاً منظماً وممنهجاً لفرض التجهيل العام قانوناً للمجتمع والحياة، فمن وجهه نظره الشعب الجاهل يسهل التحكم فيه من قيادة الشعب المتحضر، من هذا المنطلق جاءت المعاداة الجذرية للحياة الحديثة ولأي معالم تحديثية معاصرة على كافة المستويات التعليم والمدرسة والثقافة والصناعة والاقتصاد وتحديث الجيش وبناء المدن (العمران) وتنمية الإنسان وبالنتيجة الانفصال عن العالم الخارجي^(١)

وعند التدقيق في السرد والصورة التي رسمها الريحاني نراها مُجرأةً، وفي كُلِّ جُزءٍ صورةٌ أو صورٌ مختلفة عن بعضها البعض، فعدن والمحميات ظاهرياً تحت حُكم سلطانٍ يمنيٍّ يأخذ مشاهراته بـ"الرؤية" من الإنجليز، لكنها واقعياً تحت سيطرة الاحتلال البريطاني، هذه السلطنات قبائل متربصة ببعضها، وكلُّها مُحتربةٌ مع الإمام، أما الحُدُيدة فسلمها الإنجليز بخرايبها ووعثائها لحليفهم الإدريسي المحترَب - أيضاً - مع الإمام، وكانت بقية المناطق التي يحكمها الإمام ترزح تحت وطأة ولاة جائرٍ يُمارسون الظلم باسم سُلطة الإمام ذات المرجعية الدينيّة والمذهبيّة في قُوّتها وشاع الفساد والرشوة في الهيئات الإدارية، وقد لخص أحد الجنود الذين رافقوا الريحاني واقع سياسيه الإمام بعد مُقارنته مع سياسيه الأتراك والإنجليز والطلّيان بعبارةٍ وجيزة: "... - اقترَب مني ليهمس كلمته همساً - لا مال ولا نظام ولا لطيف كلام ... نحن في اليمن فقراء، وحُكم الإمام يزيدنا فقراً".^(٢)

فتجد من يقول لـ الريحاني بأنهم في اليمن سيسقطون الطائرات الإنجليزية المغيرة بسورة "الفاحة" فتخر من علوها كالطير المذبوح^(٣).

وداخل المجتمع اليمني، تجد من يفتخر بأن اليمن وحدها من بين العرب والعجم على الصراط المستقيم، لا فسق فيها ولا فجور، لكن ستجد في الوقت ذاته، على لسان جنديٍّ أو عاملٍ بسيطٍ من يرفض هذا الواقع ويدينه، ويقول للريحاني معجباً ويائساً في آنٍ: "الإفرنج أصحاب عقولٍ ذكيّة، وهم يستخدمونها في كُلِّ شيء، ونحن لا نستخدم عقولنا إلا في

(١) فاروق عثمان أباطة: المرجع سابق، ص ٤٤٣، ٤٤٤، . أمين الريحاني: مصدر سابق، ص ١٥٣

(٢) جان جاك بيرني: المرجع سابق، ص ١٤٩، أمين الريحاني: مصدر سابق، ص ١١٢-١١٣ .

(٣) ثورة ٢٦ سبتمبر دراسات وشهادات للتاريخ، الكتاب الثاني، إعداد وتوثيق مركز الدراسات والبحوث اليمني،

ط١، صنعاء، ١٩٨٧م، ص ١٨٦

الحروب... أهل اليمن يا أمين يغارون جداً على دينهم، ويظنون أن ليس خارج بلادهم غير الكُفر والكُفَّار، ولكنني سأسافر إن شاء الله، وإن كُفرت". (١)

بعد الانسحاب العثماني من اليمن انفرد الإمام يحيى بحكم البلاد، وبالتالي بدأ يمارس سلطاته السياسية والدينية داخل اليمن، بعد أن نجح في إخضاع معظم القبائل اليمنية تحت سلطة الإمامة الزيدية، لكن الإمام يحيى لم يهنأ كثيراً بالسلطة والاستقلال؛ إذ اصطدم مرة أخرى بالتنافس الإقليمي والدولي على اليمن، عندما حاول بسط سلطاته على المناطق التي كانت تخضع لسلطة العثمانيين، (٢) على اعتبار أن الإمام هو الوريث الشرعي لتركمة العثمانيين في اليمن حتى تكتمل الوحدة اليمنية، فقد كانت سلطات الاحتلال البريطاني من القوى الدولية التي اصطدم بها الإمام هي في الجنوب، أما القوى الإقليمية فقد تمثلت في الأدارسة، الذي قامت المملكة العربية السعودية بدعم انفصالهم عن اليمن (٣).

وقد أخذ الإمام يحيى بعد الانسحاب التركي من اليمن يتطلع إلى السيطرة على المناطق التي انسحبت منها القوات التركية، بل ويتطلع إلى بسط سيطرته على المحميات في جنوب اليمن، لكن الإنجليز وجرياً على سياستهم المشهورة " فرق تسد " قاموا بالاستيلاء على تهامة حتى الحديدة؛ لكي تكون مناطق مقايضة مع الإمام يحيى الذي أدرك الإنجليز وبحكم طبيعة الأمور في اليمن أن الإمام سينتقل إلى تحرير الجزء المحتل من قبلهم وبسط سيطرته عليه، قامت سلطات الاحتلال البريطاني عام ١٩٢١ م بتسليم ما احتلوه من المناطق التهامية إلى حليفهم الإدريسي والذي وقف إلى جانبهم في الحرب بموجب معاهدة صداقة عقدت بينه وبين الإنجليز عام ١٩١٥ م. (٤)

(١) أمين الريحاني: مصدر سابق، ص ١١٤

(٢) زيد المحبشي وآخرون: اليمن ودول الخليج العربي، دراسة تحليلية توثيقية لعلاقات اليمن مع المملكة العربية السعودية، سلطنة عمان، دولة قطر، الإمارات العربية المتحدة، مملكة البحرين، دولة الكويت، علاقات اليمن مع مجلس التعاون لدول الخليج، مركز البحوث والمعلومات، وكالة الأنباء اليمنية سبأ، صنعاء، سبتمبر، ٢٠٠٥ م، ص ٢٧٠، أمين الريحاني: مصدر سابق، ص ١٤٩

(٣) فاروق عثمان أباطة: مرجع سابق، ص ص ٩١، ٩٢

(٤) عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليمني: مصدر سابق، ص ٢٩٨، انظر أيضاً:

لكن الإمام ظل محافظاً على الاتفاق مع الدولة العثمانية، على إثر ذلك اتجهت بريطانيا إلى احتلال الحديد؛ نظراً لما تركه بريطانيا من أهمية الحديد للإمام^(١)، ومن ثم يكون نوعاً من الضغط على الإمام من جراء موقفه، فضلاً عن اتخاذها ورقة رابحة تساوم بها الإمام، مستقبلاً في حالة تهديد الإمام للكيان البريطاني في الجنوب^(٢).

وإثر تسليم البريطانيين الحديد إلى الإدريسي، قام الإمام يحيى بالهجوم على بعض النواحي التسع التي تجاور عدن، والتي هي جزء من اليمن المحتل، خلال هذا الهجوم عمل الإمام على إثارة شيوخ القبائل ضد سلطات الاحتلال في مناطق النواحي التسع^(*)، وانتصر الإمام في الضالع والشعيب وبعض المناطق الأخرى .

وهكذا وجد الإمام الذي أعلن قيام (المملكة المتوكلية اليمنية) نفسه محاطاً بالخصوم في الشمال والجنوب والغرب، ومحروماً من الموانئ التجارية الحيوية، بالإضافة إلى تمردات القبائل الرافضة للفردية المطلقة وسياسة أخذ الرهائن والتعسف في جباية الأموال.

Charles Hepburn Johnston: The View From Steamer Point Being An Account Of Three Years In Aden, London, 1964, p.201

(١) Hans, Helfritz, op.cit, pp.124.125

(٢) R.J. Gavin : Aden Under British Rule 1839-1967, First published In The United Kingdom , London , 1975 , pp. 249-260

(*) النواحي التسعة: تقع جنوب اليمن، وهي تسع إمارات صغيرة، كانت تخضع لسلطة الحكم العثماني في اليمن، كما اعتبرها أئمة اليمن نواحي من حيث تقسيماتها الإدارية، حرصت بريطانيا على إدخالها تحت حمايتها في عدن، وأطلقت عليها النواحي التسعة المحمية، وتختلف عن بعضها من حيث نقل تلك الحماية، ونفوذ الحكومة بها، وسيطرتها عليها، ومما يلي أسماء تلك الإمارات:

(لحج . أبين . الحواشب . الصبيحة . القطيب . الضالع . يافع العليا والسفلى . العوالق . حضر موت)، انظر مزيد من التفاصيل عن تلك الإمارات، عبد الواسع الواسعي: مصدر سابق، ص ٨٢ . ٨٥، أبو عز الدين: مصدر سابق، ص ٨٠ . ٣٢ .

شاكر محمد خضر، الحركة الوطنية في اليمن، القطر الشمالي ١٩١٨-١٩٦٢، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨١، ص ٣١.

وعلى الرغم من حرص الإمام يحيى الشديد على فرض سياسة العزلة التامة إلا أنه كان يجد نفسه مضطراً في الظروف الصعبة إلى مدّ أنظاره إلى الخارج، فلعله يجد في ذلك علاجاً لأمراض نظامه التي لا تكاد تحصى، فقد عقد عدة اتفاقيات مع الدول الأجنبية، كان الهدف منها الاعتراف باستقلال اليمن وبحكمه عليه^(١)

وقد حرص الإمام يحيى على القضاء على الأدارسة نهائياً من عسير بصفة خاصة والجزيرة العربية بصفة عامة، حال دون التوصل إلى حل توفيقي ينهي النزاع الناشب بين الأدارسة والإمام يحيى^(٢).

إنه الواقع السياسي، الذي جعل الانغلاق والجمود والعزلة الشاملة للبلاد عن بعضها البعض وعن محيطها العربي وعن العالم الخارجي قانون حياة، والخوف من الآخر والتوجُّس منه تحت ذريعة الدين المغلف بالجهل، وظل هذا الفكر السياسي يسيطر على توجه سلطة الإمام في إدارة المجتمع وتتميته وفي إدارة الحكم ويعد أبشع وأضعف حلقة في سلسلة حلقات التطور في مضمار بناء الدولة والاقتصاد وفي تنمية الإنسان.^(٣)

تتداعى مع هذه الصورة صورة الثقافة الاجتماعية القبلية، التي يُحمّلها الريحاني وزر التخلف، ويرى أنها مُعضلة اليمن - التي لا يزال اليمن اليوم يُعاني من آثارها وترسباتها - حيث يحكم الريحاني التشخيص والقراءة، فيرى أنه لولا هذه المعضلة المُتمثلة في أمرين اثنين، لكانت الصورة أبهى وأنضر، "الأوّل هو الجهل، والأمر الأكبر هو الجهل المُسلح"، هذا الجهل، وهذا الجهل المُسلح، هو واقع مُجتمع قبليّ مُحترَبٍ أو مُستعدٍ للاحتراب.^(٤)

وبسبب هذا الواقع السياسي تنبأ الريحاني آنذاك بالثورة على الإمام قائلًا: "أجل، إنَّ الناس مع الإمام اليوم ومع أعدائه غداً".

(١) عبد الله السلال وآخرون، وثائق أولى من الثورة اليمنية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٧.

(٢) عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني: مصدر سابق، ص ٢٩٨، أمين الريحاني: مصدر سابق، ص ٢١٧.

(٣) محمد الشعبي: مرجع سابق ص ١٤١.

(٤) حسني محمود حسين (د): أدب الرحالة عند العرب، ط ٢، دار الأنتلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٨٣، ص ص ١٠٣ - ١٠٥، انظر أيضًا: Gavin, op.cit, pp. 272 - 273

وهو تنبؤٌ مبنيٌّ على مُعطيات الصورة التي رآها الريحاني في عُمومها لنظام الإمام وليس لشخصه، الذي أقطعه أكثر من صورةٍ تتجلى في رداء العلم الذي يشوبه التعصب أو الحكمة التي تضعفها العقيدة، إلى آخر ذلك مما ورد في سياقات مختلفة رآها أو سمعها أو استنتجها، وهي حال الريحاني مع كُلِّ الملوك العرب الذين زارهم وحاول أن يقرأ أفكارهم ويُقرب وجهات نظرهم في سبيل وحدةٍ أرادها لتعصم العرب من ويل التخلف وانتهازية سياسة الانجليز القائمة على قاعدة المبدأ المرن في كسب الولاءات وانقضاء العداوات بالدرهم والدينار للحفاظ على مصالحها بأقلِّ الخسائر. (١)

فقد ساعدت هذه الأوضاع مجتمعة، على ظهور حركة معارضة لدى الفئات المستبيرة من أبناء الشعب اليمني طالبت الإمامة المتوكلية، بإصلاح الأوضاع المتردية في كافة المجالات مما جعل الإمام يُقبل على مطاردة المعارضة بكافة الطرق المتاحة، لذلك اضطرت حركة المعارضة إلى الهجرة خارج حدود الإمام فمنهم من اتجه إلى عدن والبعض الآخر إلى القاهرة (٢).

(١) زايد محمد جابر، مجيب الرحمن أحمد عبيد، عايش على صالح عواس: اليمن والدول الكبرى، ج١، وكالة الأنباء اليمنية "سبأ" مركز البحوث والمعلومات، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص ص ٩٣، ٩٤ .

(٢) عادل رضا: محاولة لفهم الثورة اليمنية، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص ص ٤٤، ٤٥، صلاح العقاد: جزيرة العرب في العصر الحديث السعودية اليمن جمهورية اليمن الشعبية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٩ م، ص ٨٣، انظر أيضاً:

الجمهورية اليمنية، رئاسة الجمهورية، المركز الوطني للمعلومات، عنوان الرابط: <http://www.yemen-nic.com/2feontents/2fstudies/2fdetailphp/3LD/3D4538/26print/3Dy>.

الخاتمة:

لقد صورّ الريحاني في رحلته عن اليمن ما رآه وأرادنا أن نراه معه اليوم، فصور ما قابله من ألوان الظلم وهي كلها معطيات جعلت الريحاني منقاداً إلى استنتاج مؤداه يقضي في ظروفٍ كنتك، بأنّه "يندر في البلاد ذاك الغرس الطيب، غرس الوطنية المُجرّدة من المصالح الذاتية"، هذه النتيجة التي توصّل إليها الريحاني في عام ١٩٢٢م، عاشتها اليمن حقيقةً في ٢٦ ثورة ١٩٦٢م معلنة عن ميلاد جمهورية جديدة في العاصمة اليمنية صنعاء وإنهاء حكم الإمامة المتوكلية والتحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتها وإقامة حكم جمهوري عادل وإزالة الفوارق والامتيازات بين الطبقات، وبناء جيش وطني قوي لحماية البلاد وحراسة الثورة ومكاسبها، مع رفع مستوى الشعب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، والعمل على إنشاء مجتمع ديمقراطي تعاوني عادل مستمد أنظمتة من روح الإسلام الحنيف، بالإضافة إلى تحقيق الوحدة الوطنية في نطاق الوحدة العربية الشاملة، والحرص على احترام مواثيق الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والتمسك بمبدأ الحياد الايجابي وعدم الانحياز والعمل على إقرار السلام العالمي وتدعيم مبدأ التعايش السلمي بين الأمم، كما كانت ثورة ٢٦ سبتمبر هي المحفز والداعم والمحرك لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م في جنوب الوطن ضد المحتل والمستعمر البريطاني.